

أضواء البيان

@ 511 قد قدمنا أن الأظهر عندنا أن قوله { إِذَا رُجَّتْ } . بدل من قوله { إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ } ، والرج : التحريك الشديد ، وما دلت عليه هذه الآية من أن الأرض يوم القيامة تحرك تحريكاً شديداً جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى : { إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالاً هَآءَا } ، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في أول سورة الحج في الكلام على قوله تعالى : { إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَدِيدَةٌ عَظِيمٌ } وقوله تعالى : { وَبُشِّرَاتِ الْجِبَالُ بِسَاءٍ } في معناه لأهل العلم أوجه متقاربة ، لا يكذب بعضها بعضاً وكلها حق ، وكلها يشهد له قرآن . .

وقد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية الكريمة قد يكون فيها أوجه كلها حق وكلها يشهد له قرآن ، فنذكر جميع الأوجه وأدلتها القرآنية . .
قال أكثر المفسرين { وَبُشِّرَاتِ الْجِبَالُ بِسَاءٍ } أي فتت تفتيتاً حتى صارت كالبيسة ، وهي دقيق ملتوت بسمن ، ومنه قول لص من غطفان أراد أن يخبر دقيقاً عنده فخاف أن يعجل عنه ، فأمر صاحبيه أن يلتاه ليأكلوه دقيقاً ملتوتاً ، وهو البيسة . وَبُشِّرَاتِ الْجِبَالُ بِسَاءٍ { أي فتت تفتيتاً حتى صارت كالبيسة ، وهي دقيق ملتوت بسمن ، ومنه قول لص من غطفان أراد أن يخبر دقيقاً عنده فخاف أن يعجل عنه ، فأمر صاحبيه أن يلتاه ليأكلوه دقيقاً ملتوتاً ، وهو البيسة . % (لا تخبزا خبزاً وبسا بسا % ولا تطيلاً بمناخ حبسا) % .

وهذا الوجه يشهد له قرآن كقوله تعالى : { يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلًا } ، فقوله : { كَثِيباً مَّهِيلًا } أي رملاً متهايلاً ، ومنه قول امرء القيس : كَثِيباً مَّهِيلًا { أي رملاً متهايلاً ، ومنه قول امرء القيس : % (ويوماً على طهر الكثيب تعذرت % علي وآلت حلقة لم تحلل) % .
ومشابهة الدقيق المبسوس بالرمل المتهايل واضحة ، فقوله : { وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلًا } مطابق في المعنى لتفسير { وَبُشِّرَاتِ الْجِبَالُ بِسَاءٍ } بأن بسا هو تفتيتها وطحنها كما ترى . .

وما دلت عليه هذه الآيات من أنها تسلب عنها قوة الحجرية وتتصف بعد الصلابة والقوة باللين الشديد الذي هو كلين الدقيق ، والرمل المتهايل يشهد له في الجملة تشبيهها في بعض الآيات بالصوف المنفوش الذي هو العهن ، كقوله تعالى { وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمُنفُوشِ } ، وقوله تعالى : { يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ .

